# الوسطية من منظور أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

بقلم

د. عبد المجيد مباركية ط/دكتوراه: زكرياء قادي

Aboumoncef2@outlook.fr abdou_zaki92@yahoo.com

قسم أصول الدين ـ معهد العلوم الإسلامية ـ جامعة الوادي

**ملخص البحث**

تطرقت من خلال بحثي هذا إلى ثلاث محاور، أما الأول منها فقد خصصته لمفاهيم وتعريفات تخص الوسطية على اختلاف مقاصدها عند كل من عرفها، فذكرت عدة تعريفات لعدد من المفكرين والعلماء في ذلك، وكانت معظمها توصي بالتوسط والاعتدال بين قطبين كبيرين، وهما التشدد والتطرف، والتسيب والانحلال، وأضاف بعضهم لذلك مبدأ المعاصرة ومسايرته للشريعة الإسلامية، وأما المحور الثاني فقد خصصته لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كمنظمة، فذكرت فيها دور الجمعية في إرساء مبادئ الوسطية من خلال مبادئها وقانونها الأساسي التي بنيت عليه، وأما المحور الثالث، فقد جعلته لنماذج من أعلام الجمعية مستنبطا وسطيتهم من خلال أفكارهم وأقوالهم، وقد وقع اختياري على أربع شخصيات وهم: الشيخ عبد الحميد ابن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ امبارك الميلي، والشيخ العربي التبسي، فكانت وسطيتهم في التعامل بناء الفكر الإنساني واضح وجلي، وبخاصة في تعاملهم مع شعب عاش فترة من الاستعمار الغاشم حول شخصيته وفكره إلى تعصب وشدة في التعامل سواء كان ذلك لصالح الاستعمار أو ضده.

**تمهيد:**

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وبعد :

ارتضى الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة دين الإسلام عقيدة وتعبداً، فلا يقبل من أحدهم ديناً غيره، حيث قال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، فجاءنا من خلاله برسالة شاملة وكاملة وخاتمة لجميع الرسالات السماوية السابقة، بل كانت أفضلها وأكملها على الإطلاق، حيث خاطبت كافة الناس دون تمييز بينهم، بل وأمرنا سبحانه وتعالى بالتشبث بها وترك ما سواها، فقال في كتابه: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، فجعلنا بهذه الرسالة على رأس باقي الأمم خيرية

على تفاوت في ذلك بين أفرادها فقال: ﴿{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، وختام هذا الفضل كله، فقد اصطفانا الله بخير من سار على هذه البسيطة، خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم، فكان بذلك رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، فكان برسالته رحمة للعالمين جميعاً، فمن دخل في رسالته كانت الرحمة كاملة في حقه، فدخل الجنة بإذن الله ونجا من النار، فهو صاحب الخير للإنسان والحيوان، وصاحب الأمن في العهود والمواثيق للمسلم والكافر، فتميز الإسلام به منذ فجر الدعوة بالتوسط والاعتدال واليسر ودفع المشقة والحرج، سواء في العقائد والعبادات وكذا المعاملات بين أفراد المجتمع وعلاقته ببعضه، فكان هذا الدين محل استقطاب لجميع الفئات في مشارق الأرض ومغاربها، وملاذ الفارين من تشدد وتطرف الديانات الأخرى، فهو في تزايد ونمو يوما بعد يوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكان للوسطية رجال يحملون سيرة المصطفى في شتى أصقاع الأرض، شرقها وغربها، ومن أعلام الوسطية في الغرب الإسلامي، رجال جمعية العلماء الجزائريين الذين تبنوا منهج الوسطية في دعوتهم إلى الله وإصلاح شعب نالت منه أفكار استعمارية متطرفة غاشمة، فطمست هويته الدينية والوطنية، ولم يكن لهم سبيل في علاج مثل هذا الداء إلا اتباع منهج الوسطية والاعتدال، والتيسير على الناس في نقلهم من بحر الجهل إلى بر النور والعلم، ومن هؤلاء: الشيخ عبد الحميد ابن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ امبارك الميلي، والشيخ العربي التبسي وغيرهم رحمة الله عليهم جميعاً.

* ومن هنا تتجلى أهمية هذا الموضوع في إبراز معالم الوسطية عند مشايخ جمعية العلماء الجزائريين، ودورها في الخروج بالمجتمع الجزائري من ظلال الجهل الذي اعتراهم مدة من الزمن إلى نور العلم والتحاقهم بوتيرة التطور الفكري والإنساني على غرار باقي الدول.

* وعليه فإن السؤال الرئيس الذي سنحاول الإجابة عنه من خلال هذا البحث هو:

فيما تجلت وسطية مشايخ جمعية العلماء المسلمين في النهوض بفكر الجزائريين؟

ويسوقنا البحث بهذا العنوان إلى الإجابة عن تساؤلات أخرى فرعية وهي:

- ما معنى الوسطية في منظور علماء المسلمين؟
- ما منهج جمعية العلماء كمنظمة في إرساء معالم الوسطية؟
- ما هي مواقف بعض أعلام الجمعية في التوسط والاعتدال؟

* وللإجابة عن هذه التساؤلات قسّمت البحث إلى تمهيد ضمنت فيه عناصر مقدمة البحث، ومبحثين، وخاتمة مذيلة بنتائج وتوصيات، وقمت في ذلك بدراستهم دراسة وصفية تحليلية، واستنباطية.

_ فكان المبحث الأول بعنوان: تعاريف ومصطلحات وشواهد، تعرضت من خلاله لمفهوم الوسطية في اللغة ثم الاصطلاح، مستشهدا لذلك ببعض نصوص السنة النبوية لكثرتها عن نصوص القرآن.

_ أما المبحث الثاني فعنونته ب: معالم الوسطية عند جمعية العلماء المسلمين، فقمت في ذلك بتعريف موجز

للجمعية، ثم ذكرت بعض المبادئ والقرارات الداعية إلى الوسطية من خلال عمل الجمعية، ثم ختمت هاته الورقة البحثية بمعالم الوسطية في فكر بعض أعلام جمعية العلماء المسلمين والدعوة إلى ذلك، ثم أنهيت البحث بخاتمة مذيلة بعدد من النتائج والتوصيات.

* وقد كُتبت الكثير من البحوث والدراسات التي تتحدث عن الوسطية والاعتدال، من خلال ملتقيات أقيمت على مستوى كثير من الجامعات والمعاهد والجمعيات، وكذا الحكومات، كما كتب عدد من الباحثين في هذا الموضوع في مذكراتهم، وإنجازاتهم العلمية، أذكر بعضاً منها:

_ كتاب كلمات في الوسطية ومعالمها، يوسف القرضاوي، ط 3، 2011م، دار الشروق، القاهرة، مصر.

- مجلة البصائر العدد 92، الصادر بتاريخ 1937م، الجزائر

_ مقال بعنوان: "إن التسامح والاعتدال والوسطية، هي السبيل للوصول بالوطن إلى شاطئ الأمان"، للباحث نجيب ميقاتي، مقدم لمؤتمر الوسطية الدولي الأول بطرابلس لبنان، مختارات من فكر الوسطية، المقام يوم 11، 12، 13 نيسان أبريل 2008.

_ الوسطية والاعتدال في فكر عبد الحميد ابن باديس، للدكتورة رقية عبد الله بوسنان، مداخلة مقدمة لمؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي: التقديات الحديثة، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية، سنة 2011.

_ والعديد العديد من الكتابات في هذا الموضوع لا يسع المقام لذكرها.

وقد قمت بالبحث وجمع هذه المادة العلمية خصيصاً للملتقى الدولي المزمع إقامته بجامعة الشهيد حمة لخضر، معهد العلوم الإسلامية، ولاية الوادي، الجزائر: بعنوان:

الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوربا"

المبحث الأول: تعاريف ومصطلحات وشواهد

أعرض من خلال هذا المبحث مفهوم الوسطية من خلال تعريفها اللغوي، وتعدد تعريفات العلماء لهذا المصطلح على تعدد مقاصدهم في ذلك، كما أقتصر على ذكر معالم الوسطية من خلال كلام النبي ﷺ ومعاملاته، دون القرآن، وهذا لكوني متخصصاً بالبحث في مجال الحديث وعلومه.

المطلب الأول: تعريف الوسطية

تفنن العديد من العلماء والأئمة في إطلاق معنى أو مفهوم للوسطية، في اللغة والاصطلاح فكل يدلي بدلوه في إسقاطه لمعنى التوسط والاعتدال، وهذا في جميع شؤون الحياة، الدينية منها، والدنيوية:

الفرع الأول: الوسطية في اللغة

تعددت معان الوسطية في اللغة حيث ذكر لها بعض العلماء أكثر من عشرين معنى، أو يزيد، أقتصر في هذا البحث على ذكر بعض منها.

- الوسطية في اللغة هي مصدر صناعي، وتدل على التمكن في الوسط، وَوَرَدَ لفظ الوَسَط عن اللُّغويين

بإطلاقات قد تتعدَّد في الدلالة، وتتَّحد في الغاية، فالمعنى اللغوي لكلمة الوسط أقرب إلى المعنى الاصطلاحي لذلك أذكر عدة تعاريف من شأنها أن تبين المعنى المراد من هذا اللفظ.

– قال ابن فارس: "الواو، والسين، والطاء بناءٌ صحيح، يدلُّ على العدل والنَّصَف، وأعدل الشيء، أوسطه ووسطه"؛ فالوسط هنا يراد به العدل[1]؛ قال الشاعر:

لاَ تَذْهَبَنَّ فِي الأُمُورِ فُرَطَا *** لاَ تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطَا *** وَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَسَطَا[2]

– وقال الجوهري: "وَسَطتُ القوم أسِطهم وَسْطًا وَسِطَة: توسطْتُهم، وفلان وَسِيط في قومه، إذا كان أوسطَهم نسبًا، وأرفعَهم محلاً، والوسطُ من كلِّ شيء: أعدله، ويُقال أيضًا: شيء وسَط؛ أي: بين الجيد والرَّديء، وواسطةُ القِلادة: الجوهر الذي في وسطها، وهو أجودها"[3].

– وقال الراغب الأصفهاني في مفرداته: "الوَسَطُ: ما له طرفان مُتساوِيَا القدر، ويقال ذلك في الكمية المتَّصلة؛ كالجسم الواحد، إذا قلت: وَسَطُه صُلب، وضَربَ وسَطَ رأسه، بفتح السين، ووَسْط بالسكون، يقال في الكمية المُنفصلة، كشيء يَفصل بين جسمين، نحو: وَسْطُ القوم كذا، والوَسَط تارة يقال فيما له طَرَفان مذمومان؛ يقال: "هذا أوسطهم حَسَبًا"، إذا كان في واسطة قوْمِه، وأرفَعَهم محلاً؛ كالجود الذي هو بين الإسراف والبخل، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتَّفْريط، فيمدح به نحو: السواء، والعدل، والنَّصَفَة، ومنه قوله – تعالى –: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]؛ وعلى ذلك: ﴿قال أوسطهم﴾ [القلم: 48][4]؛ فتَحَصَّل من كلامه معنى آخر، وهو الواقع بين طرفين مُتساويي القَدْر، مع الإلماح إلى التَّفريق بين الوسَط والوَسْط[5].

وللوسطيَّة إطلاقان لُغويان:

• "إطلاق مادِّيّ حسيّ، وهو كون الشيء في وسط له طرفان؛ كوسط الدار، وهذا يقع بين طرفين أو أطراف مُتقابلة.

• وإطلاق معنويّ، وهو كون الشيء أفضل شيء، وأَخْيَره، وأعدله، وأجوده، وهذا يقع غالبًا بين ضدين مذمومين، متميزًا عنهما بأفضليته وجودته، وقد يكون له ضد واحد، كالعدل مع الظلم"[6].

---

[1] – ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، لا طبعة، 1399هـ، 1979م، دار الفكر، دمشق، سوريا، الجزء 6، ص 108.

[2] – ينظر: بهجة المجالس، لابن عبد البر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، لاس ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، باب السفر والاغتراب، الجزء1، ص 219.

[3] – ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري الفارابي، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، 1407هـ، 1987م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الجزء 3، ص 1167.

[4] – ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط 4، 1430هـ، 2009م، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، مادة وسط، ص 869.

[5] – ينظر: الوسطية مفهوماً ودلالة، للدكتور محمد ويلالي، مقال على شبكة الألوكة.

[6] – نقلاً عن محمد ويلالي في مقاله السابق: كتاب المرقون حول الوسطية، للدكتور الحسين أيت سعيد، ص 09.

الفرع الثاني: الوسطية في الاصطلاح.

وأطلق عليها عدد من العلماء والباحثين عدة تعريفات تشير في مجملها إلى التوسط بين جهتين متقابلتين، تنادي إحداهما بإفراط سواء كان ديني أو دنيوي، وفي مقابلها تفريط إما ديني أو دنيوي.

– تعريف الدكتور يوسف القرضاوي: ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه[7].

ومثال الأطراف المتضادة أو المتقابلة: الربانية والانسانية، الروحية والمادية، الأخروية والدنيوية، الوحي والعقل، الماضوية والمستقبلية، الفردية والجماعية، الواقعية والمثالية، الثبات والتغير، وما شابهها[8].

ومعنى التوازن بينهما: أن يفسح لكل طرف منها مجاله، ويُعطى حقه ﴿بالقِسْطِ﴾ [الشعراء: 182]، ﴿بالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: 35]، بلا وكْسٍ ولا شطَطٍ، ولا غلوٍ ولا تقصير، ولا طغيان ولا إخسار، كما أشار إلى ذلك كتاب الله بقوله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ، أَلاَّ تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِروا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 9,8,7]، فالوسطية: هي التي تقيم الوزن بالقسط، بلا طغيان ولا إخسار[9].

– تعريف الدكتور محمد ويلالي[10]: "سلوك محمود – مادي أو معنوي – يعصم صاحبه من الانزلاق إلى طرفين مُتقابلين – غالبًا – أو مُتفاوتين، تتجاذبهما رذيلتا الإفراط والتفريط، سواء في ميدان ديني أم دنيوي"، فالمعنى الاصطلاحي يدور على الاعتدال، وتجنُّب الغلو والتقصير[11].

– تعريف الأستاذ الدكتور عصام البشير: الوسطية هي ارتباط بالأصل واتصال بالعصر[12].

فالتحدي الذي يواجه الوسطية اليوم:

• كيف نتصل بأصلنا؟ من حيث النظر الكلي للمقاصد، والمغازي، والمعاني، والعبر، فهم النصوص الجزئية في ضوء مقاصدها الكلية، والتفريق بين الثابت المحكم القطعي، وبين الظني المتشابه، بين ما لا معنى فيه لتغير الزمان وتبدل المكان، وبين ما تتغير فيه الفتوى بتغير الجهات الأربع؛ الزمان والمكان والعرف والحال.

---

[7] – ينظر: كلمات في الوسطية ومعالمها، يوسف القرضاوي، ط 3، 2011م، دار الشروق، القاهرة، مصر، ص 13.

[8] – ينظر المرجع نفسه، ص 13.

[9] – ينظر المرجع السابق، ص 13.

[10] – الدكتور محمد ويلالي: هو أحد أعلام المغرب من مدينة مراكش، أستاذ مكون بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، له عدة مقالات عبر الشبكة، وعدة تسجيلات، متخصص في مجال الأدب واللغة، والعلوم الإسلامية.

[11] – ينظر: الوسطية مفهوماً ودلالة، للدكتور محمد ويلالي، مقال على شبكة الألوكة، مرجع سابق.

[12] – ينظر: مداخلة بعنوان «مرتكزات منهج الوسطية»، الدكتور عصام الدين البشير، ملتقى هيئة رؤساء منتدى الوسطية بإفريقيا، مساء يوم الخميس، 07 أغسطس 2014م، بالمقر المركزي لحركة التوحيد والإصلاح بالرباط، المغرب، والمداخلة موجودة على الشبكة.

• وكيف نتصل بعصرنا؟ فالعصر له جانبان؛ مقتضيات العصر، وأهواء العصر، فمع الأولى علينا أن نفتح عقولنا، ومع الثانية علينا أن نفطم نفوسنا[13].

وبتبسيط هذا الإجمال «ارتباط بالأصل واتصال بالعصر» إلى بسط قليل من التفصيل يستوعب معنى كليا فنقول: «إن الوسطية هي التي تقدم الإسلام منهجا هاديا للزمان والمكان والإنسان موصولا بالواقع، مشروحاً بلغة العصر، منفتحاً على الاجتهاد والتجديد، لا على الجمود والتقليد، مستلهما للماضي، معايشاً للحاضر، مستشرفاً للمستقبل، ثابتاً في الأصول والكليات، مرنا في الفروع والجزئيات، محافظا على الأهداف والغايات، متطوراً في الوسائل والآليات، منتفعاً بكل قديم صالح، ومرحبا بكل جديد نافع، ملتمساً الحكمة من أي وعاء خرجت، عاملاً على تعزيز المشترك الديني والإنساني والحضاري»[14].

كما ذكر الدكتور وهبة الزحيلي[15] في تعريفه للوسطية عدة معانٍ:

– الوسطية في العرف الشائع في زماننا تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام بالذات دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف أو شذوذ في الاعتقاد، ولا تهاون ولا تقصير، ولا استكبار ولا خنوع أو ذل أو استسلام وخضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج، ولا تساهل أو تفريط في حق من حقوق الله تعالى ولا حقوق الناس، وهو معنى الصلاح والاستقامة[16].

– والوسطية تعني أيضاً الاعتراف بالحرية للآخرين ولاسيما الحرية الدينية[17].

– والوسطية يراد بها تصفية النفس من الأحقاد وإضمار العداوة للآخرين والكراهية والبغضاء، لأن الناس كلهم خلق الله[18].

– والوسطية تعني أيضاً الجمع بين الماديات والروحانيات وهي ميزة الإسلام، لأن الإنسان جسد وروح، وله حوائج مادية وروحانية، ولأن العمل الصحيح يكون للدنيا والآخرة.[19]

– والوسطية كذلك في معاملة الآخرين في الداخل والخارج يراد بها التعامل الحر البريء من غير إضمار

---

[13] – ينظر: «مرتكزات منهج الوسطية»، الدكتور عصام الدين البشير.

[14] – ينظر: «مرتكزات منهج الوسطية»، الدكتور عصام الدين البشير.

[15] – وهبة بن مصطفى الزحيلي: ولد بدمشق سنة 1932م، وهو أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة من سوريا في العصر الحديث، عضو المجامع الفقهية بصفة خبير في مكة وجدة والهند وأمريكا والسودان، ورئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق، كلية الشريعة. حصل على جائزة أفضل شخصية إسلامية في حفل استقبال السنة الهجرية التي أقامته الحكومة الماليزية سنة 2008 في مدينة بوتراجاي، له عدد عبير من المؤلفات والمقالات عبر الشبكة.

[16] – ينظر الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً، للدكتورة وهبة الزحيلي أبحاث المؤتمر العالمي الوسطية منهج حياة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، من 21 إلى 23 مايو 2005.، ص 05

[17] – ينظر: الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً، للدكتورة وهبة الزحيلي، ص 05

[18] – ينظر المرجع نفسه، ص 05

[19] – ينظر المرجع نفسه، ص 06

الشر أو محاولة التعدي أو الحمل على شيء معين، لذا كان الجهاد في الإسلام يراد به الدفاع عن حرمات الإسلام والمسلمين، ولا يقصد به حمل السيف بظلم ضد الآخرين، أو قتل الأنفس البريئة، أو ترويع الغير، أو إخافة الناس، أو إرهاب المجتمع، أو إجبارهم على الدخول في الإسلام، فذلك كله ليس من مفهوم الوسطية[20].

– والوسطية تعني كذلك عدم التعمق أو الإغراق في الدين، أو الاسترسال في الروحانيات والتصوف، أو الإقبال الشديد على الدنيا وزخارفها وشهواتها[21].

من خلال عرض هذه التعريفات للوسطية يتبين أنها تدل على معان حميدة ومتقاربة، تصب في واد واحد، وهي: العدل والاستقامة والخيرية والاعتدال والقصد والفضل والجودة .

أما بالنسبة لأقرب التعاريف إلى الواقع المعاصر، والذي يجسد المعنى الحقيقي للوسطية حسب رأيي، هو تعريف الدكتور عصام البشير: «الوسطية هي ارتباط بالأصل واتصال بالعصر».

ومما يدعم تعريفات العلماء السابقة، ما تتبعته في لفظ الوسطية في السنة فوجدته يحوم حول ستة معان واستشهدت لكل معنى بحديث.

– الوسط بمعنى الأعلى والأفضل: كما في قوله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتموه فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة»[22].

– بمعنى وسطية ما بين الحافتين أو الطرفين: ومن ذلك قوله ﷺ: «البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه»[23].

– بمعنى الوسطية الحسية: ومن ذلك قوله ﷺ: «وسّطوا الإمام وسدوا الخلل»[24].

– بمعنى الاعتدال في أمور العبادات والتقرب إلى الله عز وجل، فلا ينبغي للمسلم أن يرهق نفسه، أو يؤذي جسده، وهذا ما جاء في حديث الرهط الثلاثة: «... أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، واصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[25].

– بمعنى الوسطية بين الجيد والرديء، ويدل على ذلك حديث عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه

---

[20] – ينظر المرجع نفسه، ص 06

[21] – ينظر المرجع نفسه، ص 07.

[22] – ينظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط 1، 1422هـ، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، الجزء 04، ص 16.

[23] – ينظر: سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، ط 02، 1395هـ، 1975م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، أبواب الأطعمة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام، الجزء 04، ص 260.

[24] – ينظر: سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، لا ط، لا س ن، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، باب مقام الإمام من الصف، الجزء01، ص 182.

[25] – ينظر: صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، الجزء 07، ص 02.

قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من فعلهن فقد طعم الإيمان: من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله، وأعطى من زكاة ماله طيبة بها نفسه، رافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهرمة، ولا الدرنة، ولا المريضة، ولا الشرط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشره»[26].

– الوسطية بمعنى القصد والاعتدال: من أبواب الإمام البخاري في صحيحه: «باب القصد والمداومة على العمل»، فروى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لن ينجي أحكم منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا»[27].

قال الحافظ ابن حجر في شرح معنى «القصد»: الزموا الطريق الوسط والمعتدل[28].

هذه بعض معاني التوسط والاعتدال في سنة المصطفى ﷺ.

## المبحث الثاني: الوسطية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

وأذكر من خلال هذا المبحث قولا للإمام الإبراهيمي في وصفه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دون إطناب في تعريفها فهي معروفة عند الكثير، لأذكر بعضاً من معالم الوسطية عند الجمعية من خلال مبادئها وقراراتها وكذا بعضاً من أعلامها.

قال الشيخ البشير الإبراهيمي في تعريفه للجمعية: «جمعية العلماء جمعية علمية دينية تهذيبية، فهي بالصفة الأولى تُعَلِّم، وتدعوا إلى العلم، وترغب فيه، وتعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علنية واضحة لا تستتر، وهي بالصفة الثانية تعلم الدين والعربية لأنهما شيئان متلازمان، وتدعو إليهما وترغب فيهما، وبالصفة الثالثة تدعوا إلى مكارم الأخلاق التي حض عليها الدين والعقل، لأنهما من كمالهما، وتحارب الرذائل الاجتماعية التي قبّح الدين اقترافها، وذم مقترفيها، وتعمل لترقية فكر المسلم بما استطاعت، وتُرشده إلى الأخذ بأسباب الحياة الزمنية والجمعية فيما وراء هذا مرتبطة بالعالم الإسلامي أفرادا وشعوباً، بما يترابط به المسلمون من حقائق دينهم ومظاهره، وفيما عدى هذا فالجمعية جزائرية محدودة بحدود الجزائر، ملزمة بقانون الجزائر، لأن أعضاءها كلهم من الجزائر»[29].

المطلب الأول: معالم الوسطية عند جمعية العلماء المسلمين.

مما لا شك فيه أن جمعية العلماء أُسست من طرف ثلة من الرجال الذين كان لهم اطلاع واسع بأصول الشريعة وأحكام الدين، فكان مما ساهم في ذلك رحلاتهم إلى المشرق، كما أنهم عايشوا فترة الاحتلال الغاشم الذي حاول طمس الهوية الدينية والوطنية بشتى الطرق، حيث أن أحد الفرنسيين قال في ذكرى احتفال فرنسا

---

[26] – ينظر: سنن أبي داود،، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، الجزء 02، ص 103.

[27] – ينظر: صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب المداومة على العمل، الجزء 08، ص 122.

[28] – ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، لاط، 1379هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الجزء 11، ص 298.

[29] – مظاهر المقاومة الجزائرية، المرجع نفسه، ص 136,135.

بمرور قرن من الزمن على احتلاله للجزائر: «إن احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور مائة سنة على احتلالنا للجزائر، ولكنه احتفال بتشييع جنازة الإسلام»، ومما قاله حاكم تبسة في خطابه: «إننا جئنا (أي الفرنسيين) إلى الجزائر لندفن القرآن لا ليحيا»[30]، فكانت مهمة الجمعية زمن نشأتها صعبة التحقيق، إلا أن فطنة رجالها، كانت أقوى من ذلك، فسلكوا بتوفيق من الله منهجاً جعل الله عز وجل من خلاله أنوار شمس الشروق تطلع، فاتخذوا من منهج الوسطية والاعتدال سبيلاً في إخراج أمة سادها الجهل المقلد بفعل الاستدمار الغاشم، وإلا فإنهم سيصطدمون ببعض الأفكار والطوائف التي زرعها العدو، فكانت معالم الوسطية متجلية بوضوح في رسالة الجمعية حيث أوضحها ابن باديس بقلمه في مقال له بعنوان: «دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها»، حيث ذكر بأن الإسلام هو الدين الوسط الذي ارتضاه الله لعباده وراح من خلاله يسوق عددا من المبادئ التي يحملها الإسلام في عدالته لبني البشر ووسطيته في التعامل فيما بينهم في شتى شؤون الحياة، أذكر بعضاً منها:

– الإسلام دين الله الخالد الذي وضعه لهداية عباده، وأرسل به جميع رسله، وكمله على يد نبيه محمد ﷺ الذي لا نبي بعده.

– الإسلام هو دين البشرية الذي لا تسعد إلا به، وذلك لأنه:

○ كما يدعوا إلى الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين، يذكر بالأخوة الإنسانية بين البشر أجمعين[31]، فمن خلال هذا الكلام تتجلى الدعوة إلى الوسطية في التساوي بين جميع بني البشر على اختلاف أديانهم وعقائدهم، وبالرغم من وجودهم تحت وطأة المستدمر الفرنسي الظالم إلا أنهم لم يخصوه بالنفي من الأخوة الإنسانية.

○ يسوّي في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان[32]، وهذا دليل آخر على التعامل بالعدل بين جميع الأعراق البشرية، فلا الألوان تفرقهم، ولا الجاه ولا الملك، فكرامة البشر وحقوقه المشروعة فوق ذلك كله.

○ الإسلام يفرض العدل فرضاً تاماً بين جميع الناس بلا أدنى تمييز[33].

○ يدعوا إلى الإحسان العام[34]، الدعوة إلى الإحسان والمعاملة الحسنة بين جميع الناس.

○ يحرم الظلم بجميع وجوهه، وبأقل قليله من أي أحد على أي أحد من الناس[35]، ضمان الحياة الهانئة لكل أفراد المجتمع، سواء كان قليلا أو كثيرا.

---

[30] – مظاهر المقاومة، المرجع السابق، ص 131.

[31] – ينظر: مظاهر المقاومة، المرجع نفسه، ص 132.

[32] – ينظر: مظاهر المقاومة، المرجع نفسه، ص 132.

[33] – ينظر: مظاهر المقاومة، المرجع نفسه، ص 133.

[34] – ينظر: المرجع نفسه، ص 133.

[35] – ينظر: المرجع نفسه، ص 133.

○ يمجد العقل، ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير[36]، ترك الحرية للعقل البشري في تمييز الصحيح من السقيم، لأن العقل السليم لا ينفصل عن مبادئ الشريعة الصحيحة.

○ ينشر دعوته بالحجة والإقناع، لا بالختل والإكراه[37]، جعل مبدأ الحوار هو الأساس في إقناع الناس وتوجيههم ودعوتهم إلى الطريق السوي، دون إكراه في ذلك ولا تعنيف، وهذا هو الاعتدال عينه، فلا مجال لأساليب الترهيب في دعوتهم إلى هذا الدين الحنيف.

○ يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبقونه كما يشاءون[38]، وهذا هو المنهج الوسط والمعتدل مع أصحاب الديانات الأخرى، فبهذا السلوك نستطيع أن نرغِّب في إقبال الناس على ديننا الحنيف الذي لا يعنف أحداً على عكس الديانات والعقائد الأخرى، كما يقوم به أصحاب الديانات من بوذية، وطوائف دينية من الشيعة الروافض بقتل وتعذيب لكل خارج عن قانون شريعتهم المبتدَعة والمزيَّفة.

○ شارك الفقراء مع الأغنياء في الأموال، وشرّع مثل القراض والمزارعة والمغارسة، مما يظهر به التعاون العادل بين العمال وأرباب الأراضي والأموال[39]، فلا تجد للمساواة بين الفقير والغني مكاناً إلا في شريعة الإسلام، فكان هذا مبدأ من مبادئ الدعوة إلى الله.

○ يدعوا إلى رحمة الضعيف، فيكفي العاجز، ويعلم الجاهل، ويرشد الضال، ويعين المضطر، ويغيث الملهوف، وينصر المظلوم، ويأخذ على يد الظالم[40]، وهذا أكبر دليل على وسطية الإسلام في عدله ورحمته لجميع من قصر حاله عن بقية إخوانه.

○ يحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه[41].

○ يجعل الحكم شورى، ليس فيه استبداد ولو لأعدل الناس[42]، فمشاركة الغير ومشاورتهم في الأمر هي مبدأ من مبادئ الوسطية التي لا تحتكر الأفكار والآراء على فئة معينة.

هذه بعض المقومات والمبادئ التي ذكرها رئيس جمعية العلماء المسلمين، والتي كانت أساس دعوتهم، فكانت كلها داعية إلى التوسط والاعتدال في جميع مبادئها، مستلهمين ذلك من دعوة النبي ﷺ، الذي جاء برسالة الإسلام الداعية إلى الوسطية والاعتدال.

المطلب الثاني: الوسطية من منظور أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تبنى جميع أعلام الجمعية على غرار رئيسها منهجاً وسطاً معتدلاً في الدعوة والتربية وإصلاح مناهج التعليم،

---

[36] – ينظر: المرجع نفسه، ص 133.
[37] – ينظر: المرجع نفسه، ص 133.
[38] – ينظر: المرجع نفسه، ص 133.
[39] – ينظر: المرجع نفسه، ص 133.
[40] – ينظر: المرجع نفسه، ص 133.
[41] – ينظر: المرجع نفسه، ص 133.
[42] – ينظر: المرجع نفسه، ص 133.

حيث قاومت به ما أفسده المحتل الفرنسي من تفريغ للأمة من مقوماتها الذاتية، وهي الدين الإسلامي الحنيف، وكذا لغته التي أنزل بها القرآن على خير البشر، فكان منهج هؤلاء هو العمل على إحياء هذين المقومين (الدين واللغة) بشتى الوسائل تحت راية نشيد المؤسس:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينسب *** من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب.

ومن معالم أعلام الجمعية في التوسط والاعتدال أذكر:

الفرع الأول: الوسطية في فكر عبد الحميد بن باديس

إن من خصائص الفكر الإصلاحي عند الشيخ ابن باديس "الوسطية والاعتدال" وتعني التزام موقف متوازن في النظر إلى الأشياء وفي اتخاذ المواقف بعيدا عن كل غلو أو تقصير وإفراط أو تفريط، وتشمل هذه الوسطية الأفكار والأشخاص والأعمال ففي قضايا الفكر يكون التوازن بين دور العقل والنقل، وفي عالم الأشخاص يكون في الاهتمام بتوفير الأسباب المادية والأسباب الدينية للنهضة وعدم الاعتقاد أن نوعا واحدا منها كاف لإحداثها[43]، وقد جمعت الدكتورة رقية بوسنان في مداخلة لها في هذا الموضوع ستة معالم للوسطية في فكر الإمام ابن باديس في الوسطية وقد أطنبت في شرح كل معلم أذكر بعضاً منها على سبيل الاختصار[44]:

– دعوته إلى إقرار التسامح: يقول ابن باديس:" عاش النصارى واليهود والمجوس في الشرق والغرب في حجر المسلمين وتحت سلطانهم قرونا طوالا فما أكرهوا على الإسلام ولا نصب لهم ديوان تفتيش، ولا أرهقوا بالضرائب ولا اقتيدوا للموت في سبيل الإسلام ولا انتزعت أراضيهم بأفانين الاحتيال ولا منعوا من قراءة دينهم ولغتهم ، ولا أخذت أموال بيَعهم وكنائسهم وتركت تعيش بالتقتير والاستجداء ولا تعرضوا للطعن والتشهير بأديانهم وأعراضهم وعظمائهم بالزور والبهتان"،" والمسلم حبيب الإنسانية مأمور بالعطف على أبنائها من أي ملة كانوا وإلى أي وطن انتسبوا".[45].

– دعوته إلى نبذ العصبية: يقول ابن باديس: " التعصب حمية ذو وصف ذاتي أو روحي يجمعهم لأنهم مشتركون فيه، فيقومون بما ينفع مجموعهم ويدفع عنه عادية غيرهم، وأصل التعصب بهذا المعنى لا يخلو منه ذو جنس ولا ذو دين ولا ذو فكرة وهو من الغرائز الفطرية زود بها الإنسان في المعترك الدنيوي على سنة الله الكونية المسماة بالتدافع، وهو كسائر الصفات والطبائع له طرفا إفراط وتفريط مذمومان، ووسط محمود فبالتفريط فيه موت الشعور وانحلال الوحدة وتساقط أعضائها أشلاء يتغذى بها ذوو العصبيات الأخرى

---

[43] – نقلا عن الدكتورة: رقية عبد الله بوسنان، في مداخلة بعنوان الوسطية والاعتدال في فكر عبد الحميد ابن باديس: نور الدين سوكحال، الإصلاح ومجالاته بين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بيوض، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة/ الجزائر، 2008، ص 93.

[44] – ينظر: الوسطية والاعتدال في فكر عبد الحميد ابن باديس، للدكتورة رقية عبد الله بوسنان، مداخلة مقدمة لمؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي: التقديمات الحديثة، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية، 2011، ص من: 09 إلى 19.

[45] – ينظر: آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2005، الجزائر، ج5، 43.

والإفراط فيه ظلم وإرهاق واحتقار لذوي العصبيات الضعيفة ومشادة بقسوة ومكر وخيانة مع ذوي العصبيات القوية"[46].

– كما ذكرت أربع مقومات أخرى للوسطية في فكر الإمام أذكرها فقط:

– الحوار البيني (حوار الداخل الإسلامي)– تعلم لغة الغرب وعلومه – التوسط في العمل للدنيا والآخرة

– آداب الجدال ودعوة الآخر.

الفرع الثاني: الوسطية في فكر البشير الإبراهيمي

نهج الإمام محمد البشير الإبراهيمي على نهج رفيق دربه الشيخ عبد الحميد ابن باديس، في تحمله لراية التوسط والاعتدال، كيف لا وهو من خلفه لرئاسة الجمعية بعد وفاته، فصنعوا بذلك مجد أمة، وأنشأوا الرجال بالتزام موقف متوازن يحكم بشريعة الله دون إفراط ولا تفريط، وهذه بعض معالم الإمام الإبراهيمي في دعوته للوسطية من خلال ما كتبه في مقالاته:

– التوسط في إخراج الصداق عند الزواج: ذكر الإمام الإبراهيمي في ظاهرة التعسير على الشباب في قضية المهور فقال: «من أمراضنا الاجتماعية التي تنشر في أوساطنا الفساد والفتنة، وتعجل بها الدمار والفناء –عادة– المغالاة في المهور، وما يقابلها من المغالاة في الشورة، وقد أفضت بنا العوائد السيئة فيها إلى سلوك سبيل منحرف عما تقتضيه الحكمة... فأصبح الفقراء يتطاولون على مراتب الأغنياء ويقلدونهم، تشبها بهم ومجاراةً لهم، والضعيف إذا جارى القوي انبت فهلك»، ثم أصل لهذه القضية بتعريف الصداق أو المهر وأعطى الحكمة من مشروعيته على أساس أنه ليس عقدا من عقود البيوع وإنما هو جبر لما نقص المرأة من الميراث،...ثم عالج القضية بنصح دون أن يلزمهم بحكم شرعي: «والخلاصة أن الشريعة المطهرة الحكيمة لم تحدد في الصداق حداً أدنى، ولا حداً أعلى، لأن الناس طبقات، فقراء وأغنياء وبين ذلك، فإذا انساقوا بالفطرة القويمة، والشريعة الحكيمة، وجروا على منازلهم في المجتمع، صلح أمرهم، واستقامت لهم الحياة، وإذا زاغوا عن الفطرة وحادوا عن الشريعة، وخرجت كل طبقة عن مداها المقدر لها، هلكوا وشقوا...وأن ييسروا ولا يعسروا، وأن يعتبروا في الزواج حسن الأخلاق لا وفرة الصداق، وفي الزوجة الدين المتين لا الجهاز الثمين»[47].

– إنصافه للحركات الإصلاحية عقيدة وفقها: ومما اشتهر في الجزائر تلك الحقبة تشويه صورة الجمعية من طرف من لم يرتضوا منهجها وطريقتها للإصلاح، فلبّسوا على العامة ووصفوا أفراد الجمعية بالوهابيين نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب (ت 1206هـ) الذي ذمه علماء المغرب ونسبوه إلى الخوارج، فذكر ذلك الشيخ الميلي في كتابه تاريخ الجزائر في ذكر الأئمة الرستميين الخوارج[48]، وهي في حقيقتها نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد

---

[46] – ينظر: آثار بن باديس، مرجع سابق، ص 82،81.

[47] – ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، محمد البشير الإبراهيمي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، عيون البصائر، ص 323–327.

[48] – تاريخ الجزائر في القديم والحديث، امبارك الميلي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، 1406هـ – 1986م، ج 02، ص 72.

الرحمن بن رستم (ت 168هـ)، فجاء إنصاف الشيخ وعدم اكتراثه بتشويه الصورة فكتب قائلاً: «إذا وافقنا طائفة من المسلمين في شيء من الدين معلوم بالضرورة وفي تغيير المنكرات عندنا وعندهم، والمنكر لا يختلف بحكمه باختلاف الأوطان،... فنحن مالكيون برغم أنوفكم، وهم حنبليون برغم أنوفكم، ونحن في الجزائر، وهم في الجزيرة، ونحن نُعمِل في طرق الإصلاح الأقلام، وهم يُعمِلون في الأقدام، وهم يُعمِلون في الأضرحة المعاول، ونحن نعمل في بانيها المَقَاول»[49]، وما تختلف أساليب الجمعية عن دعوة محمد بن عبد الوهاب إلا فيما ذكره الإمام ابن باديس: «بان بهذا أن الوهابيين ليسوا مبتدعين لا في الفقه ولا في العقائد ولا في ما دعوا إليه من الإصلاح، وإنما تُذكر عليهم الشدة والتسرع في نشر الدعوة وما فعله جهالهم»[50].

– دعوة الحكومات إلى الحكم بالاعتدال، والمساواة في المعاملة: حيث طالب الحكومات بالتدخل فيما تنشره الصحف والجرائد بتغليب إحداها على الأخرى، وأن هذا يرجع بالضرر على أمن واستقرار الفرد والمجتمع، فقال الإمام الإبراهيمي: «ليت شعري، إذا لم تنصح الجرائد الحكومات بالرفق، وتحري الحق، والتسوية في المعاملة، ولم تنصح الحكومات الجرائد بالاعتدال، واجتناب التهيج والاستفزاز، فكيف ينام الناس في أمان؟ وكيف يبيتون من الحياة على ثقة؟، وكيف يستقيم للمودة والإخاء بين الطوائف سبيل؟ وكيف يجد المتساكنون في الوطن الواحد الراحة والاطمئنان؟»[51].

– عنايته بالطبقة الوسطى من عمر الإنسان (فئة الشباب): أحب الإمام فئة الشباب، واختارها من بين باقي طبقات المجتمع، وهذا لعلمه اليقين بأن التغيير يأتي من خلالها، فيقول البشير الإبراهيمي: «أتمثله بانياً للوطنية على خمس كما بني الدين على خمس، الباب آفة الشباب، واليأس مفسد للبأس، والآمال لا تدرك بغير الأعمال، والخيال أوله لذة وآخره خبال، والأوطان لا تُخدم باتباع خطوات الشيطان،... يا شباب الجزائر هكذا كونوا أولا تكونوا»[52].

الفرع الثالث: الوسطية في فكر الشيخ امبارك الميلي

هو من كبار من تتلمذ على الشيخ عبد الحميد بن باديس، توفي في ريعان شبابه وعطائه إثر مرض عضال أودى بحياته، إلا أنه قام بدور كبير في الإصلاح وتربية النشء، فأخذ عن شيخه مبادئ الوسطية والاعتدال، في شؤون العلم والتعليم، وكان من أبرز رجالات الجمعية وشهدت له أقواله وأقوال من عايشه بذلك، ومن ذلك أذكر:

كتب الشيخ امبارك الميلي يوضح مبادئ الجمعية فقال: «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعمل للمحافظة على الإسلام النقي من الخرافات، والبرء من كل البدع، وعلى العروبة الخالدة، العزيزة على كل عربي وكل

---

[49] – آثار البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، مقال بعنوان (تعالوا نسألكم)، ج 01، ص 123.

[50] – آثار ابن باديس – رحمه الله – سلسلة مقالات بعنوان (من هم الوهابيون؟ ما هي حكومتهم؟ ما هي غايتهم السياسية؟ ما هو مذهبهم؟)، ط 01، 1388 هـ، 1968، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ج 05، ص 34.

[51] – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، المرجع نفسه، ص 359.

[52] – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، المرجع نفسه، ص 517.

مسلم، وإنما هي جمعية الأمة المسلمة الجزائرية، إذا لا تجد في أقصى رمال الجزائر، أو أمنع جبالها، من يبرأ من الإسلام الصحيح، أو يستنكف عن العروبة، وإذا وجد في هذه الأمة من يخالفها في شعورها نحو الإسلام أو العروبة، فهو أحد رجلين: إما من الذين أفسدتهم تربية المبشرين المسيحيين، وإما من الذين أضلتهم تعاليم المدارس اللادينية، وهما قليلان في نوعهم ضئيلان في مجموع الأمة، إن الأمة شديدة الْبال على جمعيتها، وإن الحكومة الاستعمارية شديدة الحرص على معاكسة الجمعية، والذي نراه في هذه الحالة أن الحكومة غير مبالية بإرادة الأمة مع أن المعقول في سائر الحكومات هو احترام إرادة الأمة»[53]. ومن خلال هذا القول يتضح جلياً أن الشيخ من دعاة الوسطية السمحاء، وبخاصة في آخر عبارة قالها.

ومن معالم الوسطية عند الشيخ امبارك الميلي قول الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله تعالى فيه: «إن قرّر مسألة فبقوة وإيمان واقتناع، وإن جادل فبالتي هي أحسن، وإن خالفك في الرأي فمن غير عناد أو تعصب، وإن حاضر أو سامر فالدرّ المنثور، وأنهار من عسل مصفّى، كل ذلك في تواضع محمود وخلق كريم، وأريحيه فاضلة، وشهامة وشمم بلغا درجة الكمال»[54].

ومن معالم الوسطية عند الشيخ الميلي هو دعوة الناس برفق ولين، وأن يتمثل صاحب الدعوة بالقدوة الحسنة: قال الميلي: «والقدوة الحسنة هي التي تجعل لكلام الله وقعاً في القلوب، ولأوامر الدين احتراماً في النفوس، ولعظات المرشدين تأثيراً في المجتمع، والقدوة الحسنة هي التي تجعلنا أمة جدٍّ وعمل، لا شرذمة هزل وتواكل، فإن وقوف المرشد عند حد القول يحمل المستمع عند حد السماع، وقرنُه القول بالعمل يبعث السامع بالاتباع، فالقول المجرد يبعث على القول المجرد، والامتثال بالعمل يبعث على الامتثال بالعمل، وهذا سر نجاح السلف وفشل الخلف»[55].

الفرع الرابع: الوسطية في فكر العربي التبسي

ترأس الشيخ العربي التبسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد سفر البشير الإبراهيمي إلى المشرق العربي، مما جعله عرضة لمضايقات السلطة الاستدمارية التي عملت كلّ ما في وسعها لإسكات صوته و لما فشلت قامت باختطافه بداية سنة 1957 واغتياله بعد ذلك في ظروف غامضة ولا يزال قبره مجهولا لحدّ الآن، وكان للشيخ العربي التبسي منهجه في الدعوة للإصلاح والذي يعتمد على الإسلام الحركي والتطور الاجتماعي، ويرى أن التغيير الحقيقي لن يكون دون نشر الثقافة والعلوم، وتهذيب النفس والفكر معا وأن السياسة وحدها لا تكفي للوقوف في وجه المستدمر المحتل[56].

بالرغم من أن الإمام العربي التبسي كان متشددا في مناهضته للاستعمار، وقد عُرف بذلك من جهة المستعمر

---

[53] – ينظر: مجلة البصائر العدد 92، الصادر بتاريخ 1937م، الجزائر، ص 01.

[54] – ينظر: مجلة البصائر، العدد 26.

[55] – ينظر: من أقوال الشيخ امبارك الميلي، محاضرة في السرف المالي، لأحمد الجزائري، لموقع عربي سوفت، ص 83.

[56] – ينظر: حياة وأثار الشيخ العربي التبسي رحمه الله، منتديات التنوير الإسلامية، قسم أعلام وعلماء الجزائر، 2009، دوره الإصلاحي.

حتى أنه اعتقل وصب عليه الزفت الساخن، أو قيل أنه رمي من مكان عالٍ، ولم يعرف قبره لحد الساعة، فسمي بالشهيد الذي لا قبر له، ولم يمنع ذلك من وجود أفكار تبرز وسطيته واعتداله في بناء أبناء الوطن فكان من أفكار الشيخ العربي التبسي الداعية إلى الوسطية:

– عدم التعصب، وتقليد الغرب في معالجة ما مس الأمة، وهو يعمل لصالح دينه والإحاطة بالإسلام، بأخذ مناهج الحياة من خلال تجاربهم، بالتحدي وعدم الفشل، وهذا من خلال شد العزم واستفراغ جميع الحيل للوصول إلى الغاية المنشودة فقال: «هؤلاء أمم الغرب ما غادرت مرفقاً من مرافق حياتها، إلا واتخذت له ما تبلغه المواهب البشرية، كل يكد نفسه على ما تقتضيه طبيعة التطور، فمن أحزاب ضاقت عنها النوادي تعمل ليل نهار على حسب استعدادها ونزعتها بما آنست فيه صالحاً لقومها، وقد اجتروا على أيديها من المنافع العظام، والمرافق الجسام ما أكسبهم عظة ومنعة ورقياً به كل ناهض، فما قصروا من غاية، ولا تنكبوا من خيبة، وما قطعوا سواد ليل، أو بياض يوم في غير عمل صريح يقوم لأمتهم، شعارهم نحن لأمتنا وفي سبيلها ما نلاقي،... كلمتهم واحدة وصفوفهم متراصة، وغايتهم منفردة، موقنين بأن ليس لدهر الطالبين فناء، وعلى القارئ أن يلقي نظرة على جمعيات التبشير التي يقودها (رومير) فإن هذه العصابة أوقفت في نشر الديانة المسيحية كل ما أعطوه من قوة، وما وهبوا من حيل، وقد كان الفشل يظلهم، والخيبة تسبقهم، على خطورة المساعي التي يبذلونها وراء نفرتهم إلى كل قطر من الأقطار، سواء في آسيا أو إفريقيا، فما قنطوا وما فشلوا، وحملوا أنفسهم على تكاليف وأوصاب لا تقل عن الأصر والأغلال...»[57].

– الدعوة إلى الوسطية في حدود الكتاب والسنة ونبذ التطرف والمغالاة: ففي معرض الرد على بعض الطرقيين قال: «أما السلفيون الذين نجاهم الله مما كدتم لهم فهم قوم ما أتوا بجديد وأحدثوا تحريفا ولا زعموا لأنفسهم شيئا مما زعمه شيخكم، وإنما هم قوم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر في حدود الكتاب والسنة، وما نقمتم منهم إلا أن آمنوا بالله وكفروا بكم»[58].

خاتمة:

الوسطية هي فحوى رسالة الله إلى بني البشر، فلا يعني من ذلك أن نتساهل في تطبيق حدود الله أو شريعته، ولكن تطبيقها بأساليب ومناهج ترغِّب في استقطاب الغريب عليه، وتحافظ على مبادئه وضوابطه من خلال منتسبيه، وقد تجلى ذلك في خطاب الله عز وجل من خلال كتابه، وفي معاملة النبي ﷺ للمسلمين وغير المسلمين، وهذا ما دعا إليه جميع علماء الأمة في تعريفاتهم للوسطية، ومن خلال هذا البحث نخلص إلى عدة نقاط:

---

[57] – ينظر: العربي التبسي: (ألا أيها النوام ويحمك هبوا)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جزء 1، ص 49، نقلا عن: أقيس خالد في مذكرته لنيل الماجستير بعنوان (آثار العربي التبسي، دراسة فنية)، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.

[58] – ينظر: (مقالات في الدعوة) للشيخ التبسي جمع أحمد الرفاعي.. المقال رقم 1، ص 115.، من كتاب بدعة الطرائق في الإسلام للشيخ التبسي، جمع وترتيب أبو عمر الدوسري، ص 05.

– الوسطية هي شرعة الله التي ارتضاها لعبادة دعوة ومعاملة واقتداءً.

– الوسطية في منظور علماء الأمة، هي التوسط والاعتدال في مقابل التشدد والتطرف والتساهل والتميع، وذلك في جميع مناحي الحياة، سواء في تعاملنا مع الفرد أو المجتمع، أو الطوائف على اختلاف عقائدها، دون التخلي عن مبادئ الدين الحنيف.

– جمعية العلماء المسلمين هي مؤسسة دينية علمية جزائرية، بنت أفكارها على جمع الأمة إلى التوحيد والتوحّد، فكان منهجها في ذلك هو بناء الرجال على منهج وسط ومعتدل.

– أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبالرغم من وجودهم في بيئة استعمارية ظالمة، إلا أن اعتدالهم في البناء والإصلاح بفكرهم الذكي والذي لابد منه، استقطبوا جل فئات المجتمع، ونهضوا به من غَيابات الظلال والجهل، إلى نور العلم فواكبوا بذلك الأمم والمجتمعات المتقدمة.

كما فرض عليّ البحث أن أوصي بعدة توصيات تجلت لي وأنا أبحث لهذا العمل وهي:

– زرع مبادئ الوسطية في مناهج التعليم من بداية أطواره، وهذا لبناء جيل عالم ينحو منحى الاعتدال في جميع معاملاته.

– دراسة الوسطية من خلال برامج ومناهج وطرق التعليم والدعوة التي سلكها أعلام جمعية العلماء، وسلوكياتهم في التواصل مع الاستدمار، والاستفادة منها في واقعنا المعاصر.

– الاعتناء بالفئة غير المثقفة من الآباء والأمهات، الذين لا يعرفون معنى الوسطية ولا تجد لها تجسيداً في معاملتهم مع أبنائهم، وقد يكون هذا راجع إلى طبيعة المنطقة القاسية التي نعيشها، وطبيعة عملهم سابقاً، حتى أنك تجد الابن وبالرغم من منزلته العلمية والاجتماعية مازال يخاف من أن يتكلم في حضرة أبيه أحياناً كلمة حق، وهذا من خلال الدروس المسجدية والخطب المنبرية، التي لها وقع كبير على هذه الطائفة.

وفي الأخير أسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وصلّى الله وسلم على نبيه محمد، وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

**قائمة المراجع:**

– آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، محمد البشير الإبراهيمي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، عيون البصائر.

– آثار ابن باديس – رحمه الله – سلسلة مقالات بعنوان (من هم الوهابيون؟ ما هي حكومتهم؟ ما هي غايتهم السياسية؟ ما هو مذهبهم ؟)، ط 01، 1388 هـ، 1968، دار ومكتبة الشركة الجزائرية.

– بهجة المجالس، لابن عبد البر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، لاس ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

– تاريخ الجزائر في القديم والحديث، امبارك الميلي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، 1406هـ، 1986م.

– حياة وأثار الشيخ العربي التبسي رحمه الله، منتديات التنوير الإسلامية، قسم أعلام وعلماء الجزائر، 2009، دوره الإصلاحي.

– سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، لا ط، لا س ن، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

– سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، ط 02، 1395هـ، 1975م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري الفارابي، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، 1407هـ، 1987م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

– صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط 1، 1422هـ، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

– العربي التبسي: (ألا أيها النوام ويحمك هبوا)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جزء 1، ص 49، نقلا عن: أقيس خالد في مذكرته لنيل الماجستير بعنوان (آثار العربي التبسي، دراسة فنية)، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.

– فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، لاط، 1379هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

– كلمات في الوسطية ومعالمها، يوسف القرضاوي، ط 3، 2011م، دار الشروق، القاهرة، مصر.

– مجلة البصائر العدد 92، الصادر بتاريخ 1937م، الجزائر.

– مداخلة بعنوان «مرتكزات منهج الوسطية»، الدكتور عصام الدين البشير، ملتقى هيئة رؤساء منتدى الوسطية بإفريقيا، مساء يوم الخميس، 07 اغسطس 2014م، بالمقر المركزي لحركة التوحيد والإصلاح بالرباط، المغرب.

– مظاهر المقاومة الجزائرية 1930–1954، محمد الطيب العلوي، ط 3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر العاصمة.

– مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط 4، 1430هـ، 2009م، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت.

– مقال: تعريف جمعية العلماء المسلمين، لأيمان الحياري، موقع موضوع 3، على الشبكة.

– مقالات في الدعوة، للشيخ التبسي جمع أحمد الرفاعي.. المقال رقم 1، ص 115.، من كتاب بدعة الطرائق في الإسلام للشيخ التبسي، جمع وترتيب أبو عمر الدوسري.

– مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، لا طبعة، 1399هـ، 1979م، دار الفكر، دمشق، سوريا.

– من أقوال الشيخ امبارك الميلي، محاضرة في السرف المالي، لأحمد الجزائري، لموقع عربي سوفت.

– نور الدين سوكحال، الإصلاح ومجالاته بين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بيوض، رسالة دكتوراه،

جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة/ الجزائر.

– الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً، للدكتورة وهبة الزحيلي أبحاث المؤتمر العالمي الوسطية منهج حياة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، من 21 إلى 23 مايو 2005.

– الوسطية مفهوماً ودلالة، للدكتور محمد ويلالي، مقال على شبكة الألوكة.

• – الوسطية والاعتدال في فكر عبد الحميد ابن باديس، للدكتورة رقية عبد الله بوسنان، مداخلة مقدمة لمؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي: التقديات الحديثة، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية.